الفصل التاسع عشر

﴿ معركة الدم ﴾

رأينا ، فيما مر بك ، كيف تحاول الأعداء من الميكروبات الاعتداء على الأسنان فتتلفها . وليس يقتصر الاعتداء على الأسنان فحسب ، بل قد تعتدى على أى جزء من أجزاء الجسم . فقد تعتدى الميكروبات على جلد الصبى فتخرج دملة فى موضع الاعتداء ، وقد تعتدى على حلقه فتحدث التهابا فى الحلق ، وقد تعتدى على باطن معدته وإمعائه فيأخذه قىء وإسهال ، وقد تعتدى على القصبة الهوائية والأنابيب التى تتفرع منها فيحدث فيهـا التهاب ، وقد تمتد الى الرئتين فيحدث ما يسميه الأطباء الالتهاب الرئوى .

والالتهاب الرئوى مرض شائع جداً قل من لم يسمع به فى أحد أقاربه أو ذويه . وإذا مرض به إنسان قلق سائر أفراد أسرته عليه . وإذا كان المريض بالالتهاب الرئوى فى بيتك رأيت أفراد العائلة لا ينامون ملء جفونهم ، بل يتناوبون السهر عليه لتمريضه ، ورأيت طبيب البيت يعوده ، كل يوم مرة ، أو أكثر من مرة فى اليوم ، وقد وصف له مختلف الأدوية .

وإنك وان كنت لا تدرى ما هو الالتهاب الرئوى إلا أنك لا شك قدسمعت المريض به وهو يسعل ، وقد تكون سمعت الطبيب وهو يقول عنه « إنهُ يحارب للحياة » وسمعتــه وهو يتكلم عن « البحران » ويرجو أن يحدث قريباً كما يرجو أن يحدث بخير ؛ لأن البحران تغير يحدث للمريض بالمرض الحاد فيلوذ بالسلامة أو ينتقل إلى رحمة الله .

وللتقريب يمكنك أن تعتبر البحران نهاية المعركة . وفى نهاية المعركة يتم النصر لفريق ويكتب الخذلان لفريق آخر .

وكذلك فى البحران يتم النصر إما لك وإما للمرض . فان تم لك فقد نجوت ولذت بالسلامة ، وذهب عنك المرض مغلوباً . وإن تم للمرض النصر طويت صحيفة المريض مبكياً عليه من ذويه .

ولقد مر بك أن العدو يحمل حملته « بالسهام المسمومة » فيدفع إلى الدم سموماً . فاذا واصل عمله غير مقاوم أهلك الإنسان فلا عاصم له . لكن ، المعتاد ، لحسن الحظ ، أن يدافع الجسم عن نفسه بواسطة الغواصات البيضاء فيشتبك القتال بين الأعداء وهذه الغواصات

وطريقة المقاومة أو الدفاع غريبــة جداً لا يعلم سرّها إلاّ الله سبحانه وتعالى . وكلما نعلمهُ عنها هو أن تنشط هذه الغواصات البيضاء من كل أجزاء الجسم ، من قمة الرأس إلى أخمص القدم ، سائرة فى الدم وبطريقه إلى ميدان القتال أينما كان موضعهُ . ولئن سألتنى

كيف تصل أخبار المعركة إلى سائر أجزاء الجسم فترسل الغواصات البيضاء ، وكيف تنشط هذه الغواصات لقلت لك إن أمر ذلك عند علاَّم الغيوب ، لا علم لنا ، إلاَّ أنها تدعى بطريقة غريبة فتجيب بسرعة محتشدة فى موضع القتال ، على نحو ما يحدث أوان الحرب من تعبئة الجيوش وحشدها فى ميدان القتال . وكما أن الجيوش أوان التعبئة تأتى بطريق السكك الزراعيـة ، والسكك الحديدية ، وطرق البر والبحر ، فكذلك هذه الغواصات تأتى من كل ناحية بطريق الشرايين ، والأوردة ، والأوعيـة الشعرية ، ولا تخطئ الطريق أبداً بل تلهم الميدان فتنحو نحوه

وتبنى الغواصات البيضاء حيث تبنى الغواصات الحمراء ؛ أى فى نقى العظام . فإذا أعلنت الحرب على الجسم أخـذ النقى فى تشييد الغواصات البيضاء بسرعة غريبـة ، كما كانت تبنى البوارج الحربية والغواصات فى أثنـاء الحرب العظمى . وبأسرع ما يمكن ينزل النقى فى بحر الدم الغواصات الجديدة للسفر الى الميدان

ولنحسب أن المرض هو الالتهاب الرئوى . ففى هـذا المرض تهجم الأعداء وهى ميكروبات الالتهاب الرئوى ، وتبتدئ المعركة فى الرئة ، فترسل « السهام المسمومة » إلى الخلايا الصغيرة التى تتكوّن منها الرئة ، وتجمع الأعداء صفوفها فى الخلايا الهوائية ، وتحاول إختراق جدرانها للنزول فى الأوعية الدموية القريبة حيث تكون الغواصات الحمراء التى تتلقى الهواء الجيد

وفى هذه الأوعيـة تلتحم الأعداء بالغواصات البيضاء مشتبكة فى القتال معها ، ويحمى وطيسه

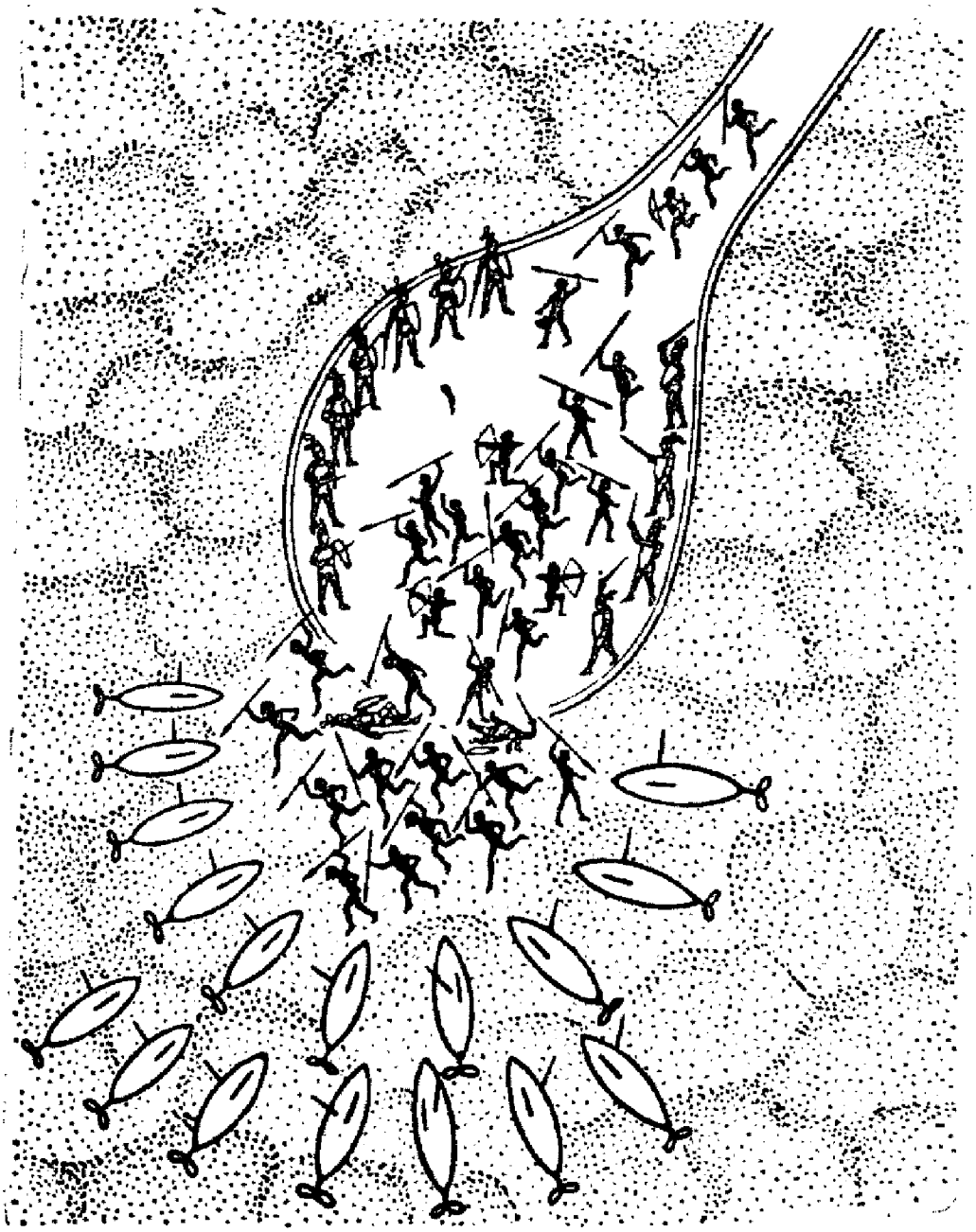

(شكل ٨٣) الغواصات البيضاء فى ميدان القتال فى خلية هوائية

وماذا يحدث ؟

لا شك أن الخلايا الصغيرة التى تكون فى موضع القتال تفنى من الاعتداء ، فتنشأ عن ذلك ثغرة يدخل العدو خلالها فيلتقى بالغواصات البيضاء التى أتت لنجدة الخلايا الصغيرة . فتعمد كل غواصة إلى ميكروب كما يعمد كل جندى إلى خصمه فى ميدان القتال . وينتهى الأمر بإنتصار الغواصة أو الميكروب

وهكذا يشتد القتال ؛ لأن كل غواصة تحاول الفتك بميكروب ، كما أن كل ميكروب يحاول الفتك بالغواصة واغراقها . وبذلك تفنى ملايين الملايين من الغواصات البيضاء ؛ ويحل محلها غيرها مما ينزله النقى فى بحر الدم . وتستمر الحال ، على هذا المنوال ، إلى أن تمتلئ الخلايا الهوائية بجثث الأعداء وبقايا الغواصات البائدة

وقد تخور قوة العدو فيتقهقر من الميدان فتأخذ الغواصات فى مطاردته وافنائه . وبذلك يتم النصر ، ويأخذ المريض فى الشفاء . أنظر إلى الشكل الرابع والثمانين تجد غواصة أغرقت وأخرى فازت على العدو . فإذا أتلفت جميع الغواصات فاز العدو ومات العليل

ومن ذلك يتضح لك أن الغواصات البيضاء نافعة للجسم كالغواصات الحمراء فلولاها لمات الإنسان متى مرض

ومن الخطأ أن تعتقد أن دفاع الجسم قاصر على مقاومة الغواصات البيضاء ؛ لأن الدم يفرز سمًا يبيد به الميكروبات . فى أثناء المعركة

يفرز الدم هذا السم لإتلاف العدو كما كانت الألمان ترسل الغازات السامة للفتك بأعدائهم . ويسمى الأطباء سم الأعداء من الميكروبات

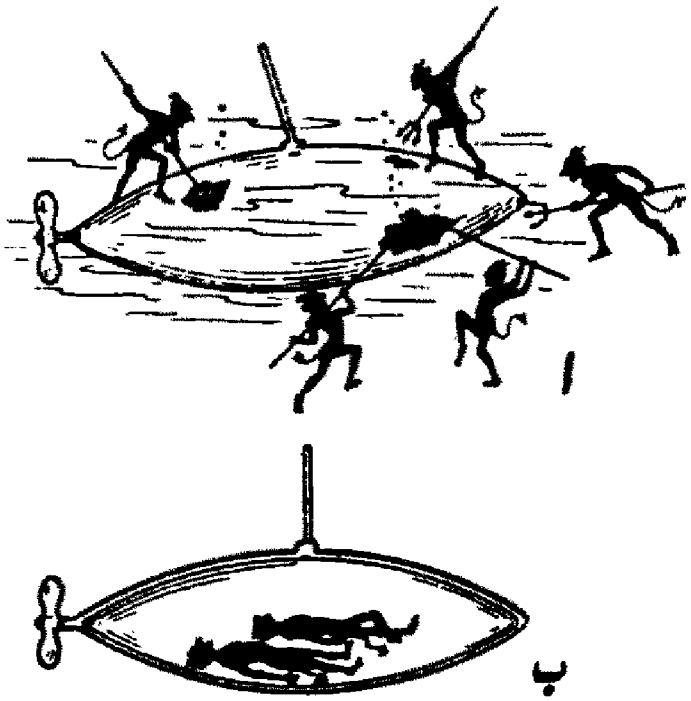

(شكل ٨٤)

يوضح لك هذا الشكل فى الصورة (ا) غواصة بيضاء وقد اتلفها الاعداء وهى الميكروبات . فقد أحدثت ثقوباً فى جوانبها . وأما الصورة (ب) فانها توضح انتصار الغواصة ولذلك ترى فى باطنها الميكروبات ماثتة

« توكسين » أما السم الذى يفرز فى الدم لمقاومة التوكسين فيسمى الأنتيتوكسين